احدهما غالب والآخر مغلوب في ارض واحدة اعتقد كلٌّ منهما بفردوس خاص به ثم زعموا بتفاوت هذين الفردوسين حسب تفاوت مراتب الشهيدين . واذا جرت عادة الرعاء والاشراف ان يدفنوا موتاهم على قمم الجبال انتقل ذلك الفردوس من راس الجبل الى الجو القريب منهُ وابتعد تدريجاً الى ما وراء الغيوم . وهكذا نرى ان عالم الارواح بعد ان كان ملاصقاً لعالم الاحياء وحالاً فيهِ ابتعد عنهُ شيئاً فشيئاً في التصور وزادت المسافة بينهما حتى بلغ اعالي الجو

ويرى القارئ من ذلك كيف ان جميع المعتقدات المبنية على تصور الاولين للموت والحياة قد تغيرت على منهج واحد فالقيامة العاجلة استحالت الى قيامة آجلة والحياة بعد الموت اختلفت كثيراً عن الحياة الدنيا بعد ان حسبوها متشابهتين والعالم المعتيد الذي زعموا اولاً انهُ ملاصق للعالم الحاضر انفصل عنهُ وابتعد ولم يعد في بقعة معينة كما كان اوّلاً

(المقتطف) هذا ما يرادُ هربرت سبنسر ومن شاكلهُ من العلماء في اصل الاعتقاد بالقيامة والخلود . لكن اصحاب الاديان المنزلة يقولون ان الاعتقاد الحقيقي بالقيامة والخلود مصدرهُ الوحي الالهي لا غير وما سواهُ تخاليف لا يعوّل عليها

ميسنيه اعظم مصوري العصر

اذا صوّر مصوّر صورةً باعها باثني عشر الف جنيه نقداً اياها المشتري من غير مساومة وهو يعدُّ نفسهُ غير مغبون كما جرى لميسنيه المصور الفرنسوي الشهير لاق بكل باحث عن اعمال الناس واساليب الغنى ان يعلم كيف تصوَّر الصور الثمينة التي تباع بالوف الجنيهات ولماذا يغالي الناس بها وهل المهارة في التصوير او غيرهِ من الفنون ميسورة لكل احد . وتتضح هذه المسائل واشباهها من تاريخ هذا الرجل اعظم مصوري فرنسا بل اعظم مصوري العصر . وقد لخصنا اكثر ما يلي من مقالة مسهبة نشرت في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر لصديقهِ الكاتب المحقق شارل يريمات

قال الكاتب اني اعرف اكثر مشاهير المصورين في اوربا وميسنيه اغربهم اطواراً وفي ترجمتهِ من الفائدة ما ليس في ترجمة مصور آخر لانهُ فاق غيرهُ في حسن اسلوبهِ وشدة اهتمامهِ باتقان صناعتهِ

ولد سنة ١٨١٥ وبدا فيهِ الميل الى التصوير منذ حداثتهِ فكان يهمل الدرس وهو في

الثامنة من عمره ويشتغل بالرسم كلما سنحت له فرصة . ثم حدثت الثورة في باريس سنة ١٨٣٠ وكان ابوه تاجراً مثرياً فضاعت اموالهُ فيها واضطرَّ ان يضعهُ صانعاً عند صيدلاني فكان يقضي النهار في لف الادوية ومد الخرايق ويحيي الليل بالرسم والتصوير . وحاول ابوهُ صرْفهُ عن ذلك فلم يفلح . واخيراً طلب من ابيهِ ان يعطيهُ اثني عشر جنيهاً يمضي بها الى نابلي ويدرس صناعة التصوير ووعدهُ بانهُ لا يطلب منهُ غيرها ابداً . فابى ابوهُ عليهِ ذلك ولكنهُ سمح لهُ ان يبحث عن مصور يعلمهُ مبادئ هذه الصناعة فاذا افلح اذن لهُ في الذهاب حيث شاء وقطع لهُ غرشين في اليوم لنفقاتهِ . فرضي بذلك ومضى الى مصور اسمهُ بونا وطلب منهُ ان يعلمهُ مبادئ التصوير فقال لهُ اني اكاد اموت جوعاً فغير لك ان تتعلم الكافة ولا التصوير فذهب وعاد اليهِ في اليوم التالي ومعهُ رسم رسمهُ بنفسهِ واطلعهُ عليهِ فلما رآهُ دهش من مهارتهِ ومضى بهِ الى المصور كوانيه وهو استاذهُ واستاذ كثيرين من مصوري فرنسا ودفع عنهُ اجرة الاشهر الاولى من جيبهِ

مصوّر يكاد يموت جوعاً لكساد بضاعتهِ يرى ولداً مائلاً الى التصوير بالطبع فيتوسَّم فيهِ النجابة ويدفع اجرة تعليمهِ من جيبهِ . هذا ما فعلهُ بونا مع ما هو من الاملاق ولهُ بهِ فضل على فرنسا وعلى الفنون اجمع

وكان عمر ميسنيه حينئذٍ سبع عشرة سنة ومع ما بهِ من الفقر المدقع لم يبلغ مبلغ غيرهِ من المصورين الذين كادوا يموتون جوعاً قبلما عرف الناس قدرهم . ولما عرف مبادئ التصوير وخضعت لهُ الالوان صوَّر صورة صغيرة وأُجيز لهُ عرضها سنة ١٨٣٤ فاشترتها جمعية تحبة الفنون منهُ باربعة جنيهات وهي اول صورهِ المعروفة

وعرف تاجرو الكتب مقدرتهُ فاستعانوا بهِ على رسم الصور التي تنشر في الكتب والجرائد فكان يكتسب من ذلك ما يسدُّ رمقهُ ويقضي بقية وقتهِ في اتقان صناعتهِ . ثم زاد دخلهُ من هذا الباب فاكتسب في ثلاث سنوات من سنة ١٨٣٦ الى سنة ١٨٣٩ ثلثمئة وستة وسبعين جنيهاً اي اكثر من عشرة جنيهات في الشهر وحسب انهُ قد صار في سعة من العيش فتزوَّج وساعدهُ ابوهُ في ذلك بان اهدى اليهِ ستة ملاعق من الفضة ودفع عنهُ اجرة البيت الذي سكن فيهِ ولم يدر في خلدهِ ان الفضة ستصير في بيتهِ كالتراب وان بيتهُ سيضاهي قصور الملوك

وتعرَّف حينئذٍ باكثر كبار المؤلفين مثل دياس وايجن سو وبلزاك لانهُ كان يرسم الصور لكتبهم الاَّ انهُ كان مقيَّداً بارادة غيرهِ ومضطرّاً ان يصوِّر الصور التي تطلب منهُ

وهذا تأبى القريحة الحرّة فعدل عن هذا الطريق واطلق العنان لقريحته تنوحي اليه بما تشاء. ولا يكون المصوّر مصوّراً ولا الشاعر شاعراً مالم يتك قيود التقليد. وعزم ان يوقف قلمه لتمثيل اطوار الناس بحسب احوالهم وزيائهم ولا سيما الذين عاشوا قُبيل ايامه فجعل يتردّد على الاسواق التي تباع فيها الملابس القديمة ولا سيما ملابس القوّاد والجنود ويبتاع كل ما يستطيع ابتياعهُ منها حتى اذا صوّر اصحابها ألبسهم الملابس التي كانوا يلبسونها او التي كانت شائعة في ايامهم

وكانت صورهُ الاولى بسيطة مفردة كصورة رجل يقرأ او صورة تلميذ يدرس او كاتب يكتب او فارس يختار سيفاً او عاشق يراسل معشوقتهُ وكلهم من ابناء القرن الثامن عشر وقد البسهم الملابس التي كانت شائعة في عصرهم وسلّحهم باسلحة زمانهم. ثمّ توسّع في المواضيع وانتقل من البسيط الى المركّب فكان كل حين تأتي فيه فصار يصوّر اناساً مختلفين مجتمعين معاً يتسارّون او يتشاورون. وكان يعرض هذه الصور في المعارض السنوية فرأى الناس فيها نور قريحته يزداد اشراقاً وهلال مهارته يتكامل عاماً بعد عام الى ان صار بدراً كاملاً. وكانوا يزدحمون لمشاهدتها حتى اضطرت الحكومة ان توقف شرطياً بجانبها خوفاً من الغوغاء. واخيراً عرض الصورة المعروفة بخصام اهل الخان La Rixe فابتاعها الامبراطور نبوليون الثالث واهداها الى الملكة فكتوريا. وتتمتها صورة شقيين يرصدان امام باب Bravi وتسارعت هذه الصور من قلم الواحدة بعد الاخرى وكلٌّ منها ابدع من سابقتها واكثر اتقاناً حتى بلغت اربعين من انفس الصور

وبقي الى ذلك الحين مؤرّخاً يرسم حوادث القرن الماضي في اشكالها وضروبها رسماً حقيقياً ولا يسمح لمخيلته ان تتصرف بالحقائق وتخرجها عن الوضع الطبيعي كأنهُ مسجّل لا مصوّر. فلما أنس من نفسه المقدرة ومن الجمهور ميل الافتتان بصناعته اضاف الى صوره شيئاً من ضروب الخيال فصارت روايات تمثل لمصيرة نوادر الحوادث وغرائب التوادر

والتفت الى تصوير الحوادث التي حدثت في ايامه من عهد الثورة فما بعد فصوّر الجنود ومواقع القتال صوراً تنطبق على الحقيقة اشد الانطباق وقد رأينا بعضها في قصر نكسمبرج وفي على صغرها يُرى فيها كل شيء واضحاً تمّ الوضوح حتى كأنك تنظر الى الجنود وقوادهم وخيولهم واسلحتهم بمنظار يصغر صور الاجسام فيزيد حدودها جلاءً والوانها بهاءً وقد وصفنا ذلك في سياحتنا الى باريس سنة ٨٩٣

وتدفّقت عليهِ الثروة ومال الى اللهو وركوب الخيل فكان يلبس الملابس الغريبة الازياء

ويسرف في نفقاته فلا يبالي بمال واهل الثروة يسارعون الى اداء ما يشاء وهم يحسبون ان رسماً صغيراً من قلمه يوفيهم الدين ويربو عليه

وكان يحب نبوليون الاول كما يحب كل فرنسوي فاهتم بتصويره وتصوير حوادث حياته. وهذا هو الطور الثالث من الاطوار التي تقلب فيها مصوّره على ضروب شتى في فجر شهرته وأوجها وحين مالت شمسه الى الزوال . واختارت الحكومة الفرنسوية حينئذٍ في تزيين البنتيون مدفن العظماء بالصور الثمينة فاختارته لتصوير الصور على الحائط الذي الى يسار المدخل فعزم ان يصور هناك صوراً تمثل مفاخر فرنسا من ايام كلوفس الى ايام نبوليون ورسم الرسوم اللازمة لذلك وشرع في تصويرها لكن وافته المنية على عجل فتوفي في الحادي والثلاثين من يناير سنة ١٨٩١ وهو في السادسة والسبعين من عمره ودفن باحتفال عظيم يليق بمقامه لانه كان حائزاً على التربة الاولى (غران كوردون) في بلاده فسارت المدافع في جنازته واطلقت عند دفنه كما تطلق عند دفن القواد الظافرين

وقد ابتدأت شهرته وعظم دخله وهو في الثلاثين من عمره فابتاع قصراً قديماً في ضواحي بلدبقرب باريس يليه روض نضر وارض شجراء فوسّع القصر واضاف اليه بناء صالحاً للتصوير واعتنى اشد الاعتناء بنقشه وزخرفته فجاء من افخر القصور ومال حينئذٍ الى ركب القوارب فجمع انواعاً مختلفة منها وكان يركبها هو وتلامذته ويتسابقون وهو لابس لبس نوتي صيّاد من اهالي اسلندا في اقصى الشمال . واصابه نوع من الحمى في ركب القوارب ثم تولاه هوس آخر وهو التصوير على الجدران والابواب فصار كيفما اتجه يملك قلماً ويرسم به على ما امامه وصار الناس ينزعون الابواب التي يرسم عليها ويحفظونها او يبيعونها باغلى الاثمان. وتملكت منه هذه العادة فصار اذا كتب كتاباً الى صديق له يرسم صورة على حاشيته واذا وضعت امامه قطعة ورق ليكتب عليها اخذ في انتخاب الاعضاء لجمعية الفنون او نحو ذلك من اعمال تلك الجمعية يأخذ قلماً في الحال ويرسم عليها رسماً بديعاً كأن مجرد وضع الورقة امامه يذهله عن نفسه ويهيج فيه ملكة التصوير . والرسوم التي من هذا القبيل محفوظة تباع باغلى الاثمان لان قلم الاستاذ استاذ

افعال من تلد الكرام كريمة ومعال من تلد الاعاجم اعجمُ

ولما تقدّم في السن مال الى تمثيل صور الخيل بالطين او بالشمع ليرى اشكالها في حركاتها المختلفة ثم سبكت من النحاس وهي تباع الآن باثمان فاحشة

ولم يكد يشفى من هوس القوارب حتى تملكه هوس الخيل والمركبات فابتاع من كل

انواعها وكان يزخرف مركبات يدور و يصور فيها شعاره وهو صورة كلب سلوقي وقد كسرت هذه المركبات بعد ذلك لكي تباع الصور التي صوّرها عليها . وكان قد اخذ يصور حوادث نبوليون الاول فجعل يصور نون حوادثه حسبما كان في الحادثة التي يصوّرهُ فيها واذا لم يكن عنده جواد بهذا اللون ابتاع جوادًا مهما كان ثمنهُ . وكان هذا شأنهُ في كل صوره فانهُ توخى تمثيل الحقيقة بعين الراقي على ما هي عليه تمامًا ولم يتصرف في طبيعة الاشياء كما يفعل غيرهُ من المصورين كأنهُ يحسب كمال الجمال في الطبيعة

قال المسيو بريارت كنت مرةً عند المصور هيلبت في باريس فدخل ميسنيه متأبطًا رزمة من الثياب فاستغربت امرهُ وقلت لهُ ما هذا فقال هذه ثياب المرشال ناي الرسمية اراها قد صارت ضيقة عليهِ وانا ذاهب بها الى الخياط ليوسعها . قال ذلك كان المرشال ناي لم يزل حيًّا وهو في انتظاره ليوسع لهُ ثيابهُ ويلبسهُ اياها حينما يصورهُ

ولما كان يصور الحوادث التي حدثت في عهد الملك لويس الخامس عشر صنع كل انواع الثياب والاسلحة التي كانت تستعمل في ايامهِ او ابتاعها من اصحابها لكي لا تتعدى صورهُ الحقيقة في شيء كبيرًا كان او صغيرًا . ولما شرع في تصوير صورة نبوليون الاول المعروفة باسم « épopée » جمع كل ما يتعلق بامبراطوريته من الثياب والاسلحة والجياشين واستعار سترة بونابرت التي كان يركب بها وضع واحدةً مثلها تمامًا وكانت ازرة تلك السترة ضائعة فعمل لها ازرةً مثل ازرتها الاصلية وعرّضها للرياح والامطار وتركها اشهرًا لكي تعتق وتصح

قلنا ان بيتهُ في بوانسي كان قصرًا فاخرًا مكتنفًا بالحدائق والرياض وانهُ اصلحها حتى صارت تصلح لمواقع الصور التي يريد تصويرها فحفر فيها اودية ورفع اكامًا وترك جانبًا منها بورًا لتمثيل الارض البراح . وكان يركب الناس على الخيول ويبثهم فيها حينما يريد ان يمثل معركة من المعارك مثال ذلك الصورة المسماة سنة ١٨١٤ التي تمثل انهزام بونابرت من روسيا فانك تراهُ فيها راكبًا في مقدمة اركان حربهِ على ارض غطاها الثلج وحزنتها عجلات مركبات المدافع فلما اراد تصويرها انتظر برد الشتاء ووقوع الثلج . قال ابنهُ المسيو شارل ميسنيه في وصف ذلك "واخيرًا اشتدَّ البرد ووقع الثلج فلما غطى الارض نهض ابي للعمل فجعل الخدم يمشون على الارض ويجرون عليها مركبات ثقيلة حتى صارت الطريق مزيجًا من الوحل والثلج فخرج وجعل يمعن نظرهُ في تفاصيل ذلك المنظر ويرسمها كما هي تمامًا يذوب الثلج وحسن الاتفاق دام البرد اياماً وزاد وقوع الثلج وتكاثفت السحب فصوّر اركان الحرب اولاً ثم اقبل على تصوير بونابرت نفسهِ وكان قد اعدَّ لهُ ثيابًا مثل ثيابهِ تمامًا صنعها بارشاد المرشال نبوليون

عن الثياب المخرقة عنده فلما اراد الباسها للرجل الذي يريد ان يمثل به بونابرت وجدها ضيقة عليه والقبعة كبيرة على رأسه فلبسها هو فكانت كأنها مصنوعة له ثم ركب جواده ايضاً استعاره من اسطبل الحكومة يمثل جواد بونابرت في لونه وقده ووضع مرآة كبيرة امامه وصوّر نفسه راكباً والارض حوله مغطاة بالثلج كما كانت حينئذٍ وكان البرد شديداً حتى كاد يبرأه فاضطررنا ان نضع تحت قدميه في الركابين اداة مجاة وبجانبه كانون يدفئ يديه عليه حيناً بعد حين لئلا يبرأها البرد"

ولما صوّر صورة سنة ١٨٠٧ مثّل فيها الامبراطور نبوليون الاول راكباً على جواده في وسط الصورة بالخراف الى اليسار وفي شمالي الصورة فرقة من الفرسان تجري امامه في اشد سرعتها والامبراطور واقف يحييها وكلما وصل فارس منها الى امامه وقف قليلاً والتفت وانتصب في الركاب وحرك سيفه وهتف هتاف الابتهاج والارض مزروعة حنطة وقد داستها حوافر الخيل وبددت سنابلها . فاضطرّ ان يبتاع الحنطة في حقلها ويستعير فرقة من الفرسان ويجعلها تدوس الحنطة بحوافر خيلها . وكثيراً ما كان يتبع الجنود في استعراضها ويقف امامها محدقاً اليها ومتتبعاً كل حركة من حركاتها حتى تنطبع في مخيلته

واهتمّ العلماء منذ ثلاثين سنة بحركة الخيل وهي تعدو وكانوا يصورونها صوراً تتوالى بسرعة لكي تظهر وضعها المختلفة وهي جارية فاهتمّ هو ايضاً بهذا الامر ورأى ان آلة التصوير التي استنبطت لذلك لا تفي بغرضه فطلب بستانه رأساً على عقب واقتلع الاشجار منه وجعل فيه ميداناً لجري الخيل ومدّ بجانب الميدان سكة حديدية ضيقة موازية له وأتى بفارس بارع وجعله يجري في الميدان وجعل هو يركب مركبة ويجري امامه على سكة الحديد يراقب الجواد وهو جارٍ وبيده القلم والقرطاس يرسم حركاته واشكاله عضلاته وتغيرها بحسب حركاتها وملأ كتباً كثيرة بهذه الرسوم

وكان يركب هو وابنه ويذهبان الى مكان بعيد حتى اذا امسيا دنو الناس منهما اخذا يعدوان معاً وهو يراقب فرس ابنه وابنه يراقب فرسه على التوالي ويصف كلٌّ منهما ما شاهده فاذا اتفق وصفاهما رسم ذلك في القرطاس واذا اختلفا كرّرا الجري والمراقبة . ومثل ذلك من العناء والدرس الطويل تمكّن من تمثيل الخيل جارية تمثيلاً منطبقاً على الحقيقة

روى المستر ستفرد الذي كان حاكماً على كليفورنيا انه زار ميسنيه مرة وطلب منه ان يصوره فاعتذر عن ذلك بضيق وقته وكثرة اشغاله ثم التفت المستر ستفرد الى صورة سنة ١٨٠٧ قبل ان اتمها ميسنيه وامعن نظره في اوضاع الخيول المرسومة فيها وجعل يتكلم في

هذا الموضوع كلاه رجل فلم يلتفت اليه فسأله ميسنيه كيف يعرف ذلك فقال ستفرد انه درس حركات الخيل بواسطة الصور الفوتوغرافية السريعة مدة سنوات. ثم افاض في هذا الموضوع فاقبل ميسنيه عليه بكليته واهتم بامره اشد الاهتمام بعد ان كان قليل الاكتراث به وقال له في الختام عين اليوم الذي تريد ان اشرع في تصوير صورتك

اما صورة سنة ١٨٠٧ المشار اليها آنفاً فمن الصور التي تدل على انه كان اعظم الناس جلداً واشدهم اهتماماً باتقان اعماله واحرصهم على هذا الاتقان من باب العمل الواجب لا من باب طلب الكسب وهاك خلاصة تاريخها :

لما نشبت الحرب بين فرنسا والمانيا سنة ١٨٧٠ ذهب ميسنيه الى مدينة متز وكان في اركان الحرب ثم عاد الى باريس وحاصر فيها مع المحاصرين وترك بيته في بوامي للاعداء (فاحتقروه كما يجب عليهم) وكان كولونالاً في الحرس الوطني يركب ويطوف على مواقع الحصار وهو يعلم ان لا جدوى من ذلك. فخطر له ان يصور صورة كبيرة يقضي فيها ساعات الفراغ وكان في باريس حينئذٍ رجل انكليزي مشهور بكرمه وحبه للفنون وهو السر تشارلس ولس بن مركيز هرتفورد فاشار عليه المسيو بتي المشهور بالمتاجرة في الصور ان يعطي ميسنيه اربعة آلاف جنيه من ثمن هذه الصورة فيتمها له ومتى تمت يتطلع ثمنها بحسب ما يقدره اهل الخبرة فاعطاه اربعة آلاف جنيه كما طلب . ثم فتحت باريس وعاد السر تشارلس ولس الى انكلترا واقام فيها

واتم ميسنيه هذه الصورة وعرضها في معرض فيناسنة ١٨٧٣ ورآها تشارلس بريارت مع برنس اوف ويلس والسر تشارلس ولس ولورد ددلي ولورد كوبر والمستر توماس براسي (الذي صار لورد براسي) فاعجبوا بها كلهم وكان المسيو بتي حاضراً فقال لبرنس اوف ويلس ان الصورة للسر تشارلس ولس فيجب ان يهنأ بها ولم يكن السر تشارلس قد سمع عنها شيئاً بعد ما دفع اربعة آلاف الجنيه من ثمنها فقال انه لا يستحقها . ولما انتهى المعرض اعيدت الى ميسنيه فلما وقع نظره عليها قال انها تحتاج الى الاصلاح وبقي ستة اشهر يصلح فيها . ومرت الايام الى سنة ١٨٧٥ وفيها اتى السر تشارلس ولس الى باريس فقابله المسيو بتي وقال له ان الصورة قد تمت الآن فلم يرضَ ان يستلمها حاسباً ان المسيو ميسنيه والمسيو بتي اهملا امره لانهما لم يخبراه شيئاً عنها قبل ذلك فردّ له المسيو بتي اربعة آلاف الجنيه في الحال وعرضها على المستر ستورد من اهالي نيويورك باميركا باثني عشر الف جنيه بالتلغراف فاشتراها هذا حالاً ووهبها لمدينة بوستن وهي اثمن صورة فيها الآن

ولا نظن ان احداً يطالع هذه السطور الاَّ ويرى فيها ادلة قاطعة على ان المهارة في التصوير لا تأتي الاَّ بعد التعب الكثير والعناء الطويل كالمهارة في اكثر المطالب وان ليس لشهرة سكة سلطانية يسير فيها المرء فتصل به الى الغاية المطلوبة بل كل امرء مضطر ان يفتح سكة لنفسه ويمهد صعابها بالمزاولة الطويلة ثم هو لا يفلح في ذلك ما لم يكن مستعداً لهُ بالفطرة كأن تكون دقائق دماغه مخلوقة على شكل يميل بهِ الى الجري في هذا السبيل والانقطاع لهُ والمواظبة عليهِ . فالذي علَّم ميسنيه مبادئ التصوير كان ابرع منهُ وهو يعلمهُ وكان النجاح ايسر لهُ مما هو لميسنيه من كل وجه الاَّ وجه هذا الاستعداد الطبيعي لكن هذا الاستعداد كفى لترجيح الكفة مع ميسنيه فنال معلمهُ وكل مصوري عصرهِ . فلا بدَّ للنجاح من الاجتهاد الكثير ولا بدَّ لهُ ايضاً من الاستعداد الفطري وكلٌّ منهما مكمل للآخر بل قد يكون الاوَّل من نتائج الثاني

اما المقالة بالصور الى هذا الحد فليس مما يدعو الى الاستغراب الكثير لا سيما وان في تاريخ الدول العربية اخباراً كثيرة موثوقاً بها تدلُّ على ان الملك او الامير او غيرهما من اهل الثروة والجاه كان يجيز الشاعر بالوف من الدنانير لاجل قصيدة واحدة قد تكون نُظمت في يوم او ساعة او تكون قيلت ارتجالاً . وقد اعتاد الناس في كل زمان ومكان ان يقوّموا بالمال الكثير ما يقل مثيلهُ فالدرَّة النادرة المثال او البتيمة التي لا مثيل لها تشترى بالالوف ومئات الالوف ولا يكون هذا المال ثمناً لما فيها من النفع بل لما اتصفت بهِ من الندرة ولما يكتسبهُ مالكها من الامتياز بها على غيرهِ . كأن فضول المال التي تزيد عن الحاجة لا يبقى لها شأن الاَّ الامتياز وسواء عند الغني امتاز بقنطار من الذهب او برطل من الماس او بصورة بديعة لا مثيل لها ما دام غرضهُ الامتياز دون سواهُ

الاَّ ان الصور المتقنة كصور ميسنيه لا تقتصر على كونها حلية نادرة المثال كبعض الجواهر الكريمة بل هي دروس تاريخية يرى فيها الرائي احوال الماضي بعين ناقد بصير توحي تمثيل الحوادث حسب حقيقتها كأنهُ رآها بعينهِ ساعة حدوثها ولم يترك امراً يُنتبه اليهِ الاَّ اعطاهُ حقهُ من التبيين والايضاح . وقد اختار من الحوادث ادلها على حقيقة الايام والاحوال التي اراد ايضاحها . فاحياء الاوربيين ممدوحون على مقالاتهم بمثل هذهِ الصور ولا سيما اذا وضعوها للمعارض العمومية لكي يستفيد منها الجمهور وذلك من خير الاعمال التي تنفق فيها الاموال وينال بها الاسم الحسن